

الدّرس رقم 06/ فرانس فانون: الخطاب والعنف:

*1/ من هو فرانس فانون (Frenntz Fanon): (20 جويلية 1925-06 ديسمبر 1961) ويعرف باسم "إبراهيم عمر فانون"، هو طبيب نفسانيّ وفيلسوف اجتماعيّ، من مواليد فوردوفرانس-جزر المارتينيك، التابعة لفرنسا، عرف بنضاله من أجل الحرية وضدّ التمييز والعنصرية، خدم خلال الحرب العالميّة الثانية في جيش فرنسا الحرّة وحارب ضدّ النازية الألمانيّة.

عمل طبيبا عسكريا في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسيّ، وعمل رئيسا لقسم الطبّ النفسي في مستشفى البليدة، وانخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائريّة، وعالج ضحايا طرفي الصّراع؛ على الرّغم من كونه مواطنا فرنسيا.

غادر سرّا إلى تونس وعمل طبيبا في مستشفى منوبة ومحرّرا في صحيفة "المجاهد" الناطقة باسم جبهة التحرير الوطني، وفي 1960 صار سفير الحكومة الجزائريّة المؤقتة في غانا، توفي عن عمر يناهز 36 سنة بمرض سرطان الدّم ودفن في مقبرة جزائريّة.

يعتبر "فرانس فانون" أحد أبرز من كتب عن مناهضة الآخرين في القرن العشرين، ألهمت كتاباته ومواقفه كثيرا من حركات التحرّر في أرجاء العالم لأنّه آمن بأنّ مقاومة الاستعمار تتمّ باستعمال العنف فقط، من جهة المقموع؛ فما أخذ بالقوّة لا يستردّ إلاّ بالقوّة.

*2/ مفهوم العنف عند "فرانس فانون":

يعتبر "فانون" العنف الاستعماريّ أداة تشيئ (تجريد من الإنسانيّة) للمستعمر، ممّا يجعل العنف الثوري المضاد ضرورة حتميّة وحقاّ وواجبا لتطهير النّفس واستعادة الكرامة الإنسانيّة، وليس مجرد عمل إرهابي. ويرى "فانون" أنّ الخطاب الاستعماريّ هو عنف معرفي يبرّر الاستغلال، بينما يمثّل التحرّر عبر العنف "أوكسيجين" يبدع إنسانيّة جديدة للطرفين.

*3/ الخطاب والعنف عند "فرانس فانون":

-العنف الاستعماريّ (العنف البنيوي): يرى "فانون" أنّ الاستعمار لا يمارس العنف فقط عبر القوّة الماديّة، بل يؤسّس لخطاب يجرّد المستعمر من إنسانيّته (تشيئه) ويجعله حيوانا في عيون المستعمر، هذا العنف الكولونيالي هو عنف ممارس يوميا في البنية التّحتيّة والنّفسية والاجتماعية.

-**العنف الثوري (ردّ الفعل)**: في كتابه: "معدّبو الأرض"، يرى "قانون" أنّ العنف هو الوسيلة الوحيدة والضرورية لتفكيك الهياكل الاستعمارية، العنف هنا يصبح "تطهيريا" يخلص المستعمر من عقد النقص ويفرغ شحنات الغضب المكبوتة.

-**العنف كعلاج نفسي وتاريخي**: يرى "قانون" (بناء على مشاهداته في الثورة الجزائرية) أنّ العنف هو علاج لمرض الاستعمار العضال، ويعيد بناء الوعي الجمالي للمقهورين، محوّلًا إيّاهم من رعايا سلبيين إلى فاعلين تاريخيين.

-**خطاب ما بعد الاستعمار**: يحذّر "قانون" من أن العنف قد يستمرّ في فترة ما بعد الاستقلال عبر "البورجوازية الوطنية" التي تتبنّى أساليب الاستعمار، ممّا يجعلها استعمارا جديدا يمارس على أهله.

*4/ملاحظات:

-يؤكد "قانون" أنّ هدفه تحرير المستعمرين نفسيا وجماعيا، لا دعوة للعنف الأعمى، ويرى أنّ اعتبار العنف وسيلة مشروعة لتحقيق الحرية دون تأطير جماعي وتنظيم سياسي يحوّله إلى اندفاع فوضوي، نقده هنا يرفض إطار الوسيلة/ الغاية المختزل ويؤكد الوظيفة التطهيرية والتحريرية للعنف.

-يتجاوز "قانون" هذا النقد النظري ليتناول البعد الأخلاقي والاجتماعي للعنف التحرري، فهو لا ينكر أنّ العنف يترك آثارا نفسية وجسدية على الضحايا والممارسين، لكنه يعتبر هذه التداخيات تضحيات مؤقتة في سبيل تحرير الإنسان من "عقدة الدونية" وبناء وعي جماعي جديد، بهذا المعنى، لا يصير العنف هدفا في ذاته، بل وسيلة لإعادة بناء الذات والحرية الجمعية.

-علاوة على ذلك يؤكد "قانون" أنّ العنف الثوري ليس مجرد فعل تدميري للنظام الكولونيالي، بل يحمل أبعادا علاجية وبنائية في آن واحد؛ فالفعل العنفي التحرري يؤسس لعملية تطهير نفسي جماعي، إذ يحزّر المستعمر من الشعور بالدونية واليأس الذي رسخته هيمنة المستعمر في أعماقه، ويوظف فيه روح المبادرة والثقة بوصفه فاعلا لتاريخه الخاص.